د . محمد وليد - سورية

عيد الغرباء

من هذا الضارب في الآفاق..
يجدف في موج الأعماق
يعانق نور الشمس
ويركب متن الريح..
يحاور أسراب الأطيار البحرية..

❖ ❖ ❖

ويجوب قفار الرمال..
يناجي عزة..
يسأل ليلى عن قيس..
ويعوج إلى جبل التوباد..
يسافر للأطلال العذرية..

❖ ❖ ❖

قال الأطفال..
نشاهده يمشي في الطرقات الحجرية..
ويسائل جدران الصمت عن الأخبار المنسية..
ونراه يلعب في الحارات مع الصبيان
ويعطيهم أصناف الحلوى اللوزية..
ويشاركهم.. فرح العيد..
وأراجيح العيد..
وزغاريد العيد..
وصباحات العيد الشتوية..
ونراه حينا في الساحات ينادي..
أسماء.. لم نعرفها.. لم نشهدها..
ويرددها.. ويرددها.. حتى تسمعها الأفلاك
وكل المخلوقات النورانية..
وأتيناه لنعرف قصته - قال الأطفال-
فغاب سريعا.. بين الغيمات الوردية..

❖ ❖ ❖

ورآه مؤذن مسجدنا..
يوما في المحراب يصلي..
ويناجي الرب بحنَيَّة..
فأتاه يحييه.. ومد الكف..
فغاب سريعا..
يصعد درج المنبر..
مثل النور الصاعد نحو الآفاق العلوية

❖ ❖ ❖

ورأته الأطيار يناجي..

سوسنة تبكي.. بين الوردات الجورية..

فيواسيها.. ويداعبها..

وينادي أسراب الحسون لتنشدها..

أحلى الألحان القدسية..

فأتته الطير تسامره..

فرأته يحلق في الأجواء..

وغاب.. وغاب..

هنالك خلف شعاع الشمس الفضية..

من هذا الضارب في الآفاق؟

يكابد أصناف الأشواق..

ويمشي بين الغابات البرية..

قالوا.. جِنِّي مسكون.. يمشي في وديان الليل السحرية..

قالوا.. مجنون فقد اللب.. وراح يناجي تلك الأصوات العلوية..

قالوا.. مجذوب.. نذر الروح..

وراح يفتش في الآفاق عن المعنى..

وتيتم بالأوراد الصوفية..

❖ ❖ ❖

لكن البعض أحس بشيء مختلف..

ورأوا دمع الوجد يسيل من العينين..

كحبات بلَورية..

سمعوا القلب يرتل أحزانا ما مرت بفؤاد الخنساء..

ولا المأساة الإغريقية..

عرفوه وقالوا: هذا شيخ الغرباء..

يعود لأرض طفولته

يحدوه الشوق.. وأحلام الحب الأزلية..

❖ ❖ ❖

عاد.. وما عادت تعرفه الأرض

وما عادت تعرفه الواحات ولا النخلات..

ولا الأطيار البحرية..

ما عاد يجيد حروف اللغة

ولا الأوزان الشعرية..

دمدم.. تمتم..

لم تفهمه سوى الغيمات الصيفية..

وحمامات تسجع فوق الدوح..

وترقب عودة شمس الحرية..